القصّة الشعريّة الطرديّة في العصر الجاهلي

د. صالح بشارة

اعتاد عرب الجاهلية مطاردة حيوانات الصحراء لصيدها من اجل لحمها وجلدها والتمتع بملاحقتها. وكان الصيد إما حرفة أو هواية، كما كان نمطا من أنماط الفروسية والبطولة.

وقد وصف شعراء الجاهلية أدوات الصيد، وحيواناته، وما كان يواجه الحيوان المطارد من مخاطر ورعب وما كان يقوم الصياد به من احتيال في سبيل النجاح في مهمة الصيد. وذكر الشعراء أيضًا وسائل الصيد من خيول وكلاب، سهام، قسي ورماح. وكان الحصان أداة المطاردة دون منازع. لقد كان صيد الحيوانات الشغل الشاغل لكثير من الناس، وكان الصيادون يدربون الكلاب لاستخدامها في امور الصيد. وكان الصيد شغل الشجعان والفرسان والفقراء أيضًا.[1]

كانت قصائد الشعراء في الصيد تأتي من خلال أحادثيهم عن رواحلهم ولهوهم، وأيامهم وذكريات شبابهم. لان الصيد يعد ضربا من ضروب الفروسية في كثير من الأحيان.

ان الصيادين يصيدون مختلف أنوع الحيوانات كالوعول، الماعز الجبلي، البقر الوحشي، وغيرها. وقد تردد ذلك في أشعارهم كثيرا. وقدَّم الشعراء من خلال أوصافهم صورًا مليئة بالحركة والحياة. وذكروا الحفر التي كان الصيّادون يحفرونها، ليستتروا بها ويكمنوا في داخلها، لئلا تكشف الطرائد وجودهم. كما ذكروا أيضًا القبائل التي اشتهرت بمهارتها في الصيد وضربوا بها المثل في إتقان الرمي، مثل قبيلة طيّء التي أنجبت ابن مرّ وابن سنبس.

قال امرؤ القيس:

فَصَبَّحَهُ عند الشُّروقِ غُدَيَّةً كِلابُ آبْنِ مرٍّ أَوْ كِلابُ آبْنِ سِنْبِسِ[2]

كان الشعراء في الجاهلية يلجأون الى السرد القصصي عندما كانوا يتناولون الحيوان في صورهم وتشبيهاتهم، وتنقلاتهم من مكان إلى أخر. وكانوا يفعلون ذلك في مناسبات الصيد، أو حال مدح انسان عظيم أو عزيز.[3]

كانت حياة الشاعر الجاهلي حافلة بالحوادث ومشاكل الحياة، وصعوباتها ومتاعبها. وقد استغل الشاعر الجاهلي كل ما أحاط به من ظروف ومشاكل وكل ما اعترض سبيله من حيوان لنسج قصة شعرية، كان ينفس فيها عما يضايقه في صدره أو يعانيه أو يفكر فيه. وكان الشاعر ينسج قصته الشعرية حول حادثة مهمة في حياته ودنياه، وكان يمهد لهذه الحادثة سلسلة من الوقائع، والأوصاف، وعناصر التشويق المستمدة من الحيوان وحركاته، وسرعته ورد الفعل الذي كان يقوم به في الوقت المناسب الاضطراريّ. كان الشاعر يصادف في طريقه حيوانا معينا أو أكثر، فيطارده ليصيده، فيفاخر بقدرته وشجاعته ومهارته الفائقة.[4]

إن مسرح السرد القصصي المتعلق بالصيد هي تلك الصحراء القاحلة الموحشة، المضللة والمهلكة، مسكن البوم، والجندب، حيث تتجول الحيوانات المختلفة والطيور على أشكالها. وفيها تبيض النعام وتبعر بها الناقة باستمرار. وما يميز تلك الصحراء شمسها الحارقة، مع سقوط الامطار أحيانا، يصاحبها قصف الرعد. وفي تلك الصحراء كان الصراع يبدأ وينتهي، أما الصراع، فهو صراع حب البقاء، صراع بين القوي والضعيف، صراع المهاجم والمدافع عن الذات والمتشبت بالحياة.[5]

كان الشاعر الجاهلي يختار فكرة معينة، لتكون قاعدة قصته الشعرية. وكان يرسم الخطوط العريضة للحوادث، ويختار أحيانًا فكرة انتصار الثور على الكلاب التي كان يطلقها لاصطياده. وكان الثور يهرب في البداية، ثم تفرض عليه المعركة الثبات والتحدي، فيتصدى للكلاب، ويقتل أحدها، وتهرب الاخرى، وينجو الثور من الكلاب، وكانت الفكرة أحيانا معكوسة. [6]

كان الشاعر يوفر جميع أنواع السلاح للمعارك التي يختارها، مثل الرماح، والنبال، والقرون والكلاب والعقبان وغير ذلك. وكان الشاعر يجعل من صيّاده صيّادا ماهرا، يتوقف ويترصد، يطارد ثم ينقض. [7]

وكان الشاعر أيضا يرسم الخطط لقصصه الشعرية، ويستحضر لها الأوصاف اللازمة. والمشهد الذي كان يعرضه الشاعر حول القصة الشعرية يكاد يكون مشهدا حيا، واقعيا، وهو يشعر بتأثيره بنفسه، وتختلط عواطفه فيه، الامر الذي يجعل السامع أو القارئ يتأثّر كثيرًا. ومن خلال هذه الأوصاف، يرسم الشاعر صورا أخرى يعرض فيها جوانب من حياته

ومغامراته وبطولاته.[8] لقد اهتم الشعراء عادة في المبالغة في وصف المشبه به، وإظهار قدرته وحسن جماله ودققوا في ذلك، وكانوا يستوفون جوانب المشبه به في وصفهم إياه. وكان شعراء كثيرون يتعرضون لنسج مقطوعات شعرية قصصية طردية، عندما يودون الحديث عن راحلة من رواحلهم، كالفرس أو الناقة، ويصفون في هذا المجال الحيوان وهو مطارد، وحالة الخوف التي يعيشها ووسائل الصيد المستخدمة ضده وكان الشاعر يمهد لمعركة الصيد تمهيدا تاما، فراحلته تشبه الثور أو الحمار الوحشي قوة ونشاطا. ثم يصف الحيوان بأنه يستخدم أظلافه ليحفر له حفرة يلجأ إليها ليحمي نفسه من المطر والرياح الشديدة البرودة، ويحفر حفرته في الرمال الصلبة التي لا تهدم، ويمكث في حفرته إلى أن تطلع الشمس، وفي هذه الفترة الصباحية تبدأ المخاطرة والمواجهة الصعبة، فيظهر له الصيّادون تصحبهم كلابهم الضارية المدرّبة، كأنّها النّبال أو الخيل في السرعة ويضطر الثور إلى اتخاذ المواجهة. ويدرك أن في الجبن الهلاك. فيكر على الكلاب ويهزمها وترجع عنه وتلجأ إلى العواء مستكفية به عن الهجوم. [9]

لقد جهز الشاعر الفكرة جيدا قبل إخراجها على شكل قصّة شعرية معبرة وصادقة. فهناك معركة يعتقد المشاهد أن النصر في بدايتها يكون في جانب الصياد وكلابه، ولكن النهاية تكون عكس ذلك، وأحيانا تنتصر الكلاب ويفرح صاحبها بالربح الكبير. [10]

إن مشهد الصيد القصصي يتكرر لدى الشعراء، وإن اختلفت أشكاله وأدواته، فهناك الإطار والشكل والفكرة والمضمون وساحة التمثيل والطبيعة ثابتة لا تتغير. ونجد أن شعراء الجاهلية كان يقلد أحدهم الآخر في مساراته، وطرقه وأفكاره عند نظم القصة الشعرية الطرديّة. [11]

نظم الأعشى في القصة الشعرية الطرديّة. فإما أنه كان يتناول معركة نشبت بين حيوانين، أو بين إنسان وحيوان، وفي الحالة الأخيرة يستخدم الإنسان وسائل هجومية متعددة منها الخيل والكلاب والسهام والرماح.[12]

نسج الأعشى قصة شعرية طرديّة رائعة من أحداث حيوان شبّه به ناقته المشبه به هو الثور الوحشي، ذلك الحيوان الذي قدّم الشاعر لنا حوله سلسلة من الصور الحية والمتحركة تمثل قصة كفاحه المرير.

فالثور هزيل بسبب الجوع وقد سقط عليه المطر الذي ساقته ريح الشمال الباردة. وبات

الثور تحت أغصان الشجر فوق تلّة، وكان ليلا ثقيلا لا يحتمل. وعندما انجلى الصباح، هاجم الثور صيّادا خبيرا بمهاجمة الوحوش بأماكنها. وقد اصطحب ذلك الصيّاد كلابه، التي أسرعت نحو الثور، ويسرع هو أمامها، وعندما لحقت به، وقف لحسم المعركة، وأخذ يطعن الكلاب ذات ليمين وذات الشمال بقوة وقسوة، فينتصر عليها. يقول الأعشى في مطلع القصة الشعرية: [13]

كَأَنَّها طاو تَضَيَّفَهُ ضَرْبُ قطار تَحُثُّهُ شَمْأَلْ
بَاتَ يَقُولُ بالْكَثِيبِ منَ الْغَبْيَةِ أَصْبِحْ لَيْلُ لَوْ يَفْعَلْ
مُنْكَرساً تَحْتَ الغُصُون كَمَا أَحْنَى عَلَى شمَاله الصَّيْقلْ
حَتَّى إِذا آنْجَلَى الصَّبَاحُ وَمَا إِنْ كَادَ عَنْهُ لَيْلُهُ يَنْجَلْ

لقد جعل الأعشى ناقته قاعدة الانطلاق للقيام بنسج قصة طردية تبدأ بتشبيه الناقة بثور وحشي عانى وواجه مختلف أنواع المتاعب والصعوبات. وأراد الشاعر من هذا التشبيه نسبة النشاط والصلابة إلى ناقته، ونعتها بالقدرة على احتمال المشاق واجتياز العقبات. وبعد الانتهاء من التشبيه يتناول الشاعر الثور وينسج حوله قصته الواقعية التي قد تحصل أحداثها يوميا.

تعتبر هذه القصة الشعرية الطرديّة من قصص الاستطراد وذلك لان الأعشى استطرد فيها من وصف ناقته وتشبيهها بالحمار الوحشي إلى نسج قصة طرديّة الهدف منها التأكيد على علو مكانة ناقته، ونعتها بجميع النعوت اللائقة بها من قوة وصلابة وصبر واحتمال. وقد عالج الشاعر في هذه القصة كغيره من الشعراء قضايا الصيد في العصر الجاهلي، والعوامل التي يقوم عليها، والعناصر التي تشكلها، والحقيقة أن الشاعر يعالج في شؤون الصيد، قضية الصراع الاجتماعيّ الذي كان دائراً بين الأفراد والجماعات في العصر الجاهلي فالحيوان المطارَد هو ذلك الحيوان الضعيف الذي يطلب النجاة دائمًا، لأنّ المطاردين لا يريدون له الحياة، لأنّهم بحاجة إلى لحمه ودمه، ويمثل الحيوان المطارَدَ الإنسان الذي كان يُغزى ويهاجم فيقتل ويسلب ويُسْبَى أهله دون رحمة ولا شفقة. اعتمد الشاعر في نسج قصيدته على الوصف الخارجي والداخلي وقد عالج بالوصف الداخلي الحالة النفسية لدى الإنسان، الصياد والحيوان المطارِد، -كالكلاب- ونفسية الحيوان المطارَد وهو الثور الوحشي هنا

وذلك ليعطى الصورة المروّعة من جهة الحيوان المطارَد او الصورة المتقلبة من قصة إلى أخرى. لقد نجح الشاعر في عرض لوحة دقيقة التصوير حول الصراع الذي دار بين المطارَد والمطارِدين، وأراد الشاعر أن ينصر الحمار الوحشي وذلك ليلبي رغبته وهي إعطاء المشبه به لناقته الحياة والفوز والسلامة لا لشيء إلا لأنه يحب ناقته ولا يقبل لما تشبهه أن يكون الخاسر في المعركة.[14]

لقد جعل الشاعر الحمار الوحشي يمر بمتاعب ومشاق وصراع لا يحتمل من صعوبة إلى أخرى، وأخيرًا وبعد جهد جهيد يفوز بالنجاح وهذا ما تجابهه الناقة فهي تقطع المسافات، وتصعد الجبال، وتواجه البرد والحر وتنقل الأمتعة صابرة إلى أن توصل صاحبها مراده بسلامة.

اعتمد الشاعر في قصته على السرد والتفصيل والتشبيه والتوكيد والحال والوصف من اجل رفع مستوى قصته من الناحية الفنية والقصة تخلو من عنصر الحوار لأنها اعتمدت عناصر أخرى تلائم مع أحداث القصة كما ذكرنا أعلاه.[15]

والأعشى في قصيدته رقم 13 من ديوانه[16] يتوصل إلى القصة الشعرية الطردية بالاستطراد من ناقته إلى قصتين: الأولى قصته مع ابنته التي حاولت أن تثنيه عن السفر خوفا على حياته.[17]

والثانية قصة اليمامة التي ظلت تترقب عودة أخيها في شوق وأمل، والتي لم تخنها عينها، والتي كذبها قومها عندما حذرتهم من قدوم الأعداء إليهم عن بعد، وكان مصيرهم الهلاك[18].

ثم ينتقل الى قصة البقرة التي فقدت صغيرها بعد ان يجعل ناقته طرف المشبه في جملة التشبيه. أراد الأعشى أن يفتخر بناقته وأن ينسب إليها صفات القوة والتماسك والاحتمال والصبر على الجوع والتعب. أما البقرة وهي طرف المشبه به فينسج حولها قصة شعرية، عاطفية، رومانطيقية محزنة: اعترض البقرة وحش هزيل بسبب الجوع، وقد أستطاع ذلك الوحش أن يخدع البقرة عن صغيرها في ارض كساها العشب، ويتمكن من أكل لحم صغيرها، وأن يفجعها فيه. وبينما كانت البقرة ترتع كان الوحش يمثل بفريسته كما يشاء. وعندما أجتمع اللبن في ضرع البقرة، تذكرت صغيرها وفتشت عنه لترضعه، وفوجئت بقطع ممزقة من جلده وراحت تشم دمه في حزن وألم عميقين. هكذا فقدت البقرة ابنها لمّا غفلت عنه.

ولكن الأعشى لم يترك البقرة وشأنها، ولم يكتف بالمصيبة العظيمة التي قدَّرها لها، فما أن

لاح الصباح حتى فاجأها صيّاد كالذئب المفترس، تصحبه الكلاب الضارية، وكأنها النبال في السرعة.

يقول الأعشى في مطلع القصيدة الشعرية: [19]

كَأَنَّها بَعْدَ مَا أَفْضَى النِّجَادُ بِهَا ❋ بالشَّيِّطَيْن مَهَاةٌ تَبْتَغِي ذَرَعَا
أَهْوَى لَهَا ضَابِئٌ فِي الأَرْضِ مُفْتَحِصٌ ❋ لِلَّحْمِ قِدْماً خَفِيُّ الشَّخْص قَدْ خَشَعَا
فَظَلَّ يَخْدَعُهَا عَنْ نَفْس وَاحدها ❋ فِي أَرْضِ فَيْءٍ بِفِعْل مِثْلُهُ خَدَعَا
حَانَتْ لِيَفْجَعَهَا بِآبْنٍ وَتُطْعِمَهُ ❋ لَحْماً فَقَدْ أَطْعَمَتْ لَحْماً وَقَدْ فَجَعَا

يشير الأعشى في قصة البقرة التي مر ذكرها الى عنصر الخداع، ونتائجه الوخيمة. ولا شك أن الشاعر يلفت النظر الى عدم الإنتباه، وعدم اتخاذ الحذر وعواقب ذلك في حياة الانسان، وإلا لما قدّم قصة اليمامة على قصة البقرة التي فقدت ولدها بسبب الإهمال وعدم الانتباه والتخلي عن اليقظة.

ويمكننا اعتبار قصة البقرة المذكورة أعلاه درسا اجتماعيا، وتوجيها تربويا لكل صاحب مسؤولية. فالقصة واقعية رومانطيقية تراجيدية يمكن أن تواجه كُلَّ اتكاليّ، وكلَّ انسان لا يحسب للغدر حسابا، مهما كان مصدر الغدر.

تعتبر هذه القصة الشعرية من ذوات الاستطراد المتكرر حيث انتقل الشاعر من وصف ناقته إلى ثلاث قصص الواحدة تلو الأخرى كما مر معنا أما القصة الأولى والثانية فهما قصتان اجتماعيتان كما هو معروف والقصة الثالثة قصة طردية –قصة صيد– كبقية القصص الطرديّة المعهودة في صحراء العرب. لم يستخدم الشاعر عنصر الحوار في هذه القصة لأنه اكتفى بالسرد والتشبيه والوصف وهي عناصر أساسية في تشكيل لوحة الصراع بين الإنسان والحيوان أو بين الحيوان والحيوان. وقد نجح الشاعر في تقديم صورة البؤس والشقاء وقد رمز بها الشاعر الى نتائج المعارك والصور واللوحات المفزعة التي كانت تفرزها ساحات القتال والغزوات. عالج الشاعر قضية الوصف الخارجي الذي أبان لوحة مروعة ومفزعة حيث قطع صغير البقرة، وجلده الممزق أو مشهد الام تراقب صغيرها وهو على هذا

الوضع المحزن المؤلم وفي مثل هذا المشهد الهائل تلتحم الصورة الخارجية لدى الضَّحية في الصورة الداخلية لدى الام –ام الضحية– وهنا قمة الألم والتعاسة والقسوة والغضب وحرقة المشاعر والتهاب الأعصاب.

القصة الشعرية الطردية هنا تشكل لوحة الصراع الحقيقي على أرض الجزيرة العربية سواء أكان الصراع بين الحيوان والحيوان أو بين الانسان وأخيه الانسان.فساحات القتال كانت تكشف في نهاية الصراع عن رؤوس مقطوعة، وبطون مبقورة ووجوه ملطخة بالدم وجثث مبثوثة هنا وهناك إلى غير ذلك من جزيئات القتل والتنكيل.

وفي القصيدة رقم 55 من ديوان الأعشى، يستطرد الشاعر من وصف ناقته الضامرة السريعة الجريئة والتي تشبه الجمل الفحل إلى قصة الثور الأفطس الأنف والأسفع الخد، والذي أهزله الجوع حيث جعله مشبها به لناقته في عبارة التشبيه، أما الثور فقد مر في قصة كفاح مرير شديد. والصورة معادة في الشعر الجاهلي قلما يتغير فيها الخيال أو الألفاظ، ولها نظائر في شعر امرئ القيس، والنابغة الذبياني، وأوس[20]، وغيرهم

بدأ الشاعر قصّة الثور بوصفه إيّاهُ، فظهره أبيض، أما جسمه فاسود. بات ذلك الثور ليلته عطشان جائعا، لجأ الى شجرة أرطى في منعرج الرمال تعصف به الرياح، فيصبح وجهه أَغبر قاتما، ويحفر الثور بيتا تحت الشجرة ليأوي اليه، وفي الصباح ينطلق من مأواه، فيفاجئه صاحب كلاب اسمه " عوف بن أرقم " ، ويطلق كلابه فتتبعه كجماعة نحل هيجها جامع العسل الذي يرتقي الجبال في سبيل جمعه العسل، وتستمر مطاردة الكلاب للثور من الصباح الى الليل، وأخيرا يغير الثور طريقة الدّفاع عن الذات من الهرب الى الوقوف والتحدي والمواجهة بكل قوة، والسلاح متوفر وهو القرن المحدد، وينتصر الثور على الكلاب ويقتلها ويشرق وجهه بعد كفاح صعب طويل. يقول الأعشى الشاعر[21] في مطلع القصة الشعرية:

كَأَنِّي وَرَحْلِي والْفِتَانَ وَنُمْرُقِي * عَلَى ظَهْرِ طَاوٍ أَسْفَعِ الخَدِّ أَخْثَمَا
عَلَيْهِ دَيَابُوذٌ تَسَرْبَلَ تَحْتَهُ أَرَنْدَجَ إِسْكَافٍ يُخَالِطُ عِظْلَمَا
فَبَاتَ عَذُوباً لِلسَّمَاءِ كَأَنَّمَا يُوائِمُ رَهْطاً لِلْعَزُوبَةِ صُيَّمَا
يَلُوذُ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ تَلُفُّهُ خَرِيقُ شِمَالٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَقْتَمَا

يُجَسِّدُ الشاعر – في قصّة الثور وكفاحه من أجل التشبّث بالحياة – قصة حياة ساكن

الصحراء الذي يتعرض من حين إلى آخر إلى غزو ونهب وسلب، فمرة ينتصر على عدوه وأخرى ينتصر عدوه عليه، وما انتصار الثور في هذه القصة إلا انتصار الشاعر على عدوه، وكأن الشاعر يقول في هذه القصة الشعرية، إن خير خطّة للانتصار هو اتباع المواجهة والصمود والتحدي، والوقوف في وجه الخصم بكل قوة وتدبير متقن. والهروب يسوق إلى الهزيمة المحقّقة. اعتمد الشاعر هنا على أسلوب السرد والتفصيل كعادته وعادة غيره من الشعراء في الجاهليّة، كما اعتمد على التشابيه والنعوت والأحوال وهذه عناصر القصّة الشعريّة الطرديّة، كما مرّ معنا في قصص طرديّة سابقة لمعظم شعراء الجاهليّة. وعالج الشاعر قضيّة الوصف الخارجيّ والداخليّ للثور المُطارد، وذكر شخوص القصّة مثل الصياد وكلابه والكل بارز في حركته في لوحة صراعية دموية، انتهت بإنتصار الثور بفضل قرنيه وعزمه وتصميمه على الصمود وتحقيق النصر، والقصّة تخلو من الحوار، لأنّها قصّة سرديّة وصفيّة.

في قصيدته رقم 79 من ديوانه يعيد علينا الأعشى ويكرّر قصّة الثور الصحراويّ الذي شبّه ناقته به لقوّة احتماله وصبره وجلده وثباته، ويشبّه الشاعر ذلك الثور بالكوكب الذي يلمع في الأفق البعيد. وفي هذه القصّة تطارد الثور كلاب صيّاد من (بني ثعلب) ويذكر الشاعر أسماء الكلاب مثل: (عطّاف) و (مجدول) و (سلهبة) و (كسّاب).

والشاعر في هذه القصة يبررّ خروج الصياد لاصطياد الثور، ويقول: إن له صبية صغارًا، يعانون الفقر والحاجة وهم ينتظرون ما يأتيهم به أبوهم، ليخفّف من جوعهم. والثور يهرب أمام الكلاب المعتادة على الصيد، وهي سريعة كالسّهام. وفي هذه المرّة أيضًا ينتصر الثور، بعد تسديد الضربات إلى كل الكلاب. يقول الأعشى: [22]

كَأَنَ كُورِي وَمِيَسادِيَ وَمِيَثَرتِي   كَسَوْتُهَا أَسْفَعَ الْخَدَّيْن عَبْعَابَا
أَلْجَاهُ قَطْرٌ وَشَفَّانٌ لِمُرْتَكِم   مِنَ الأَمِيل عَلَيْه الْبَغْرُ إِكْثَابَا
وَبَاتَ فِي دَفِّ أَرْطَاةٍ يَلُوذُ بِهَا   يَجْرِي الرَّبَابُ عَلَى مَتْنَيْه تَسْكَابَا

والأعشى كعادته يهتمّ بالسرد والتفصيل، وعرض لوحة الصراع واضحة جلية بذكر شخوص الصراع. والاعتماد على التشابيه والنعوت، واخراج الثور المطارد منتصرا، لأنه المشبه به لناقته التي يريدها أن تتحلّى بجميع مزايا القوة والعظمة.

نظم لبيد بن ربيعة في القصة الشعرية الطردية كغيره من شعراء الجاهلية، وذلك للتشابه

بين الشعراء في ظروف الحياة وأشكالها وأحوالها. وقد واجه لبيد ما واجه غيره، وعانى ما عاناه شعراء الجاهلية، وشاهد يوميا ما مُثِّل على مسرح الصحراء من مسرحيات رومنطيقية تراجيدية ومشاهد مؤلمة ومحزنه ساهم في تشكيلها الإنسان والحيوان.

في قصّة شعريّة طرديّة صحراويّة يحدثنا لبيد بن ربيعة في ديوانه عن صياد ضامر، هزيل كالذئب، خرج يفتش عن صيد، وإذا به يرى ثورا يمشي بحذر، وله قرنان حادان كالرمحين. أما الصياد فيرسل كلابه لتدرك الثور الذي دافع عن نفسه بقرنيه، ثم أخذ الثور يطعن الكلاب يمنة ويسرة، وكذلك بالصدر، حتى فرّقها، وطرد عنه الخوف بعد أن صرع الكلاب، ولم يصب بأذى،ومشى منتصرا بخفة ونشاط.

وفي ذلك يقول لبيدفي مطلع القصة الشعرية: [23]

فَكَأَنَّها هيَ يَوْمَ غِبِّ كَلاَلِهَا   أَوْ أَسْفَعُ الْخَدَّيْن شَاةُ إِرَانِ
حَرِجٌ إِلى أَرْطَاته، وَتَغَيَّبَتْ   عَنْهُ كَواكِبُ لَيْلَةٍ مِدْجَانِ
يَزَعُ الهَيَامُ عَنِ الثَّرى، وَيَمُدُّه   بُطْحٌ تَهَايُلُهُ عَلَى الْكُثْبَانِ

ولبيد كغيره من شعراء الجاهلية اتبع أسلوب السرد والتفصيل واعتمد التشابيه والنعوت لخلق لوحة صراع الحيوان على ارض الصحراء وإخراج الثور المصارع منتصرا. لم يعتمد لبيد الشاعر الحوار بل اعتمد الوصف الخارجي والداخلي، بشكل يتلاءمان مع السرد والعناصر الفنية الاخرى، وادوار شخصيات القصة. يعرض علينا لبيد في معلقته قصتين طرديتين، أمّا الأولى، فالمطارِد والمطارَد فيها كلاهما من الحيوان، ولا يد للإنسان فيها، فقد شبّه لبيد ناقته بأتان، ثمّ نسج قصّة حول تلك الأتان، حيث جعل الفحول تتنافس حولها. وأخيرًا ينجح أحدها في أن يستأثر بها دون أصحابه. أمّا الأتان، فتظهر التمنّع أَمام صاحبها، فيسوقها أمامه والغيرة مشتعلة في صدره، وتسرع الأتان متمنية الإفلات، لكن الفحل يسرع وراءها وتستمرّ المطاردة إلى أن يبلغا الماء الذي كان لا مناص من التوجّه إليه بسبب العطش والحرّ.

يقول لبيد: في مطلع القصة الشعرية [24]

فاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصلْهُ   وَلَشَرُّ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا
بِطَلِيحِ أَسْفَار تَرَكْنَ بَقيَّة   مِنْها فأَحْنَقَ صُلْبُها وَسَنَامُها
أَوَ مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لأَحْقَبَ لاَحَه   طَرْدُ الْفُحُولِ وَضَرْبُها وَكِدَامُهَا

يُجسّد الشاعر في القصيدة أعلاه سلوك ساكن الصحراء تجاه المرأة، فهو غيور عليها، ويقوم

بالمستحيل لتكون من نصيبه، وكثيرا ما كان الشاعر البطل يعرّض حياته للخطر في سبيل إنقاذ حبيبته من الأسر. أو الإستبسال في المعركة لئلا تصل يد الغزاة إلى زوجته أو صاحبته. ومن سلوك ساكن الصحراء تجاه المرأة الانفراد بها بعيدًا عن الآخرين. فهو لا يريد أن يشاركه أحد في رؤيتها ومشاهدة محاسنها.

وقد قدم لبيد في معلقته قصة شعرية طرديّة أخرى. تدور هذه القصة حول بقرة وحشية مسبوعة بائسة، أكل السبع ابنها، فبدأت تصيح معتقدة أن النبات قد غطاه، وتستمر في صياحها الى ان تدخل في جوف شجرة نابتة في كثبان تنهال رمالها في يسر. وقد لجأت البقرة الى ذلك المكان لتكون بعيدة عن كل أذى. عاشت البقرة حالة القلق الشديد وهي تفتش عن صغيرها دون أن تجده. وقد أبدع لبيد في تصوير قلق تلك البقرة الوحشية، حين شبهها بلؤلؤة الغواص التي سل خيطها فانفرطت، وتساقطت. ولم يتوقف لبيد عند المشهد المأساوي الذي عاشته البقرة المسبوعة، بل استمر يضيف صورا قاسية ومؤلمة تبرز فيها حالة البقرة. فقد اطبق الليل على تلك البقرة ببرده وقسوته، بهمومه وأحزانه، والبقرة تحتمل ذلك صابرة، حتى إذا انجلى الليل اندفعت تصيح، وهي حائرة. تسير مترددة قلقة، وعندما تقف على نهاية صغيرها تحزن كثيرا، وتفقد وعيها، ويجف لبنها، ويمتلكها الخوف وتسيطر عليها الحيرة والقلق. ولم يترك الحظ العاثر البقرة وشأنها فإذا به يأتي لها بالصيادين الذين أعدوا لها أدوات الصيد الكافية، لكنّهم عندما يئسوا من إصابتها بنبالهم، أرسلوا كلابهم المدرّبة، لتلحق بها، لكنّها تتصدّى للكلاب وتنتصر عليها.

يقول لبيد في مطلع القصة الشعرية: [25]

أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَة   خَذَلَتْ وَهَادِيةُ الصِّوَار قَوَامُهَا
خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الفَرِيرَ فَلَمْ يَرِم   عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا
لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَه   غُبْسٌ كَواسِبُ لاَ يُمَنَّ طَعَامُهَا

والحقيقة أن هذهً القصةً تنطبق على الحيوان والإنسان في آن واحد، فالمخاطر والمصائب التي كانت تواجه ساكن الصحراء لا تقل عن التي كانت تواجه حيوانها، فالغزوات والنهب والسلب والقتل حالات كان الإنسان ينتظرها ويعيشها باستمرار، والجوع والحرمان، والخوف والقلق أمور اعتادها، وجاء الشاعر الجاهلي ليعكسها ويسقطها في أشعاره على الحيوان المقصود بالصيد. والشاعر في هذه القصة الشعرية يعالج ظاهرة إهمال الأهل

أبناءهم وَيَعرضُ خطورة الإهمال ونتائجه المؤلمة، والمميتة. ولبيد في معلقته حيث قدّم لنا قصتين شعريتين طرديتين لم يخرج عن المألوف في الاعتماد على السرد والتشابيه والنعوت، وعدم الاعتماد على الحوار، بل اتخاذ أسلوب التفصيل التقليدي من اجل رسم لوحة الصراع الذي يرمز إلى الصراع الإنساني الدائم.

لقد نظم النابغة الذبيانيّ في القصة الشعرية الطرديّة، ولم يخرج عن سُنّة الجاهليين في نسج القصة حول الطرف الثاني في جملة التشبيه، فهو يأخذ المشبه به ألا وهو البقرة الوحشية أو الثور ويعرض قصة حياته في يوم من أيام شؤمه والمصائب التي تحيط به والمخاطر التي تُفرض عليه، أما المشبه فهو الراحلة وغالبا ما تكون الناقة، لأنها سفينة الصحراء، ووسيلة السفر التي تتميز عن غيرها من الرواحل بقدرة الاحتمال والصبر على المتاعب والجوع والعطش، وتقديسا لها يشبهها الشاعر بتلك البقرة الوحشية أو ذلك الثور الوحشي العنيد والمكافح من أجل الحياة. والنابغة في قصيدته الداليّة التي بدأها بالوقوف على الأطلال الخالية إلا من الاثار، يستطرد إلى القصة الشعرية الطردية – على عادة الشعراء الجاهليين مستعملا عبارة ((عدّ عمّا ترى)) أي دعك مما تراه من أطلال وارحل عن المكان بناقة صلبة شبيهة بثور وَجرَةَ الوحشيّ. ثم يبدأ يحدث عن ذلك الثور وَيَحيكُ حوله سلسلة من الأحداث والمتاعب والمهالك. مشى ذلك الثور ليلا وَتعرّضَ للرّيح الباردة التي عانى منها ما عانى، وإذا بصيّاد يرسل إليه كلابه، فيهرب مسرعا بسبب الخوف والبرد الشديد، ورأى الثور أن أفضل طريقة الى السلامة هو الثبات والمواجهة، ومقابلة العدو وجها لوجه، واستخدام وسائل الدفاع بكل قوة أعطيت له. ويطعن الثور الكلاب ويصيبها بقرنه إصابات مباشرة، وقد سمّى النابغة كلابه بأسماء معينة، أما الكلب " ضمران " فقد طعنه الثور طعنة قاتلة بقرنه، ولَمّا رآه زميله " واشق " على الحالة التي لا يحسد عليها، ترك ساحة المواجهة وولى هاربا، وبهذا خرج الثور منتصرا، كما شاء له الشاعر، الذي كان يعاني كغيره من شعراء الجاهلية من مشاكل الدّهر والمطاردات، ويتوق دائما إلى الخلاص من المحن والشدائد. وكان انتصار الثور انتصار الشاعر، وانتصار الإنسان على مصائب الدهر المتعددة الأشكال على ساحة الصحراء.

يقول النابغة في مطلع القصّة الشعريّة في مطلع القصة الشعرية:

فَعَدِّ عَمَّا تَرَى إذْ لاَ ارْتِجَاعَ لَه   وَانْمِ القُتُودَ عَلَى عَيْرانَةٍ أُجُدِ
كَأَنَّ رَحَلْي وَقَدْ زَالَ النَّهارُ بِنَا   يَوْمَ الجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحِدِ
مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ   طَاوِي المَصِيرِ كَسِيفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ

النابغة كغيره من شعراء الجاهليّة لم يتجاوز المألوف والمتّبع في نسج خيوط القصّة الشعريّة الطرديّة، فقصّته استطراديّة، وتعتمد التشابيه والنُّعوت والسَّرد والتَّفصيل دون الحوار، وما لوحة الصِّراع على أَرض الصّحراء التي يبرز فيها صراع الحيوان من أجل البقاء، ما هي إلا لوحة واحدة، وهي لوحة واقع، تنطبق على الحيوان والإنسان في آنٍ واحد، فالمطارَدُ هو الضّعيف، والمطارِدُ هو القويّ، طالما أنّ ميدان الحياة يخضع لقانون القوّة والأنانيّة.

وفي قصيدته الرائية يحدّثنا النابغة الذُّبيانيّ عن ثور وحشيّ، شبّه به ناقته مفاخرًا بصلابتها وقوّة احتمالها وصبرها على الشدائد. بات ذلك الثور ليلته يعاني بردَ ريحٍ، أثارت الحصا وورق العشب اليابس. وقد لجأ إلى شجرة أرطاة بسبب المطر الغزير. وعندما أسفر الصّبح، قصده صَيَّاد نحيف تصحبه كلابه وهو من قبيلة نزار المشهورة بالصَّيد. وعندما لحقت الكلاب بالثور، هاجمها للدِّفاع عن نفسه، كأنّه محارب ماهر، يرى بالهجوم أفضل خُطّةٍ للدِّفاع عن النفس أو أنّ الشاعر أراد أن يلبسه طبعه ومبدأه وهو أنّ الفرار عيب ومذلّة. قتل الثور ثلاثة كلاب واستمرّ يتعارك مع السبعة الأُخرى. وأخيراً يخرج الثور منتصراً، يمشي بزهو وافتخار.

يقول النابغة في مطلع القصة الشعرية:[27]

كَأَنَّمَا الرَّحْلُ مِنْها فَوْقَ ذِي جُدَدٍ   ذَبِّ الرِّيادِ إلى الأَشْبَاحِ نَظَّارِ
مُطَرَّدٍ، أُفْرِدَتْ عَنْهُ حَلائِلُهُ   مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ أَوْ مِنْ وَحْشِ ذِي قَارِ
بَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ شَهْبَاءُ تَسْفَعُهُ   بِحَاصِبٍ ذاتِ إشْعانٍ وَأَمْطَارِ

ما يميز هذه القصّة الشعريّة أنّ الثور الوحشيّ صارع عشرةً من الكلاب الضارية المدرّبة والمعدّة للصّيد. وقد تعمّد الشاعر انتصار الثور، لأنّه المشبّه به لناقته التي يريد لها القوّة والصلابة واستمرار الاحتمال ومواصلة الكفاح، حتّى تحقيق الغاية من مهمّتها المفروضة عليها في وجودها، يحسّ قارئ هذه القصّة الشعريّة أنّ النابغة جعل من الثور متنفَّسًا للنّفس المطاردة في الميدان الصحراويّ، حيث لا بديل عن الصمود وأنّ مواجهة العدو خير من إخلاء

السّاحة له، وفي الفرار الـهزيمة المحقّقة والنهاية المحتومة إنْ عاجلاً أو آجلاً. وفي الصبر واختيار الثبات والمعاركة – مهما كانت الخطورة – نصر ومجد وخلود وعزّة وكرامة.

اعتمد النابغة في قصَّته السابقة الحوار الداخلي والسّرد الكافي للوصول بالقصة إلى المضمون المراد. ومن خلال الحوار الداخلي يُبرز الشاعر ثلاث حالات نفسيه الأولى تتعلّق بالثور الذي بات يعاني الريح الباردة التي رمته بالحصى وورق العشب اليابس، وبانقشاع الظلام، تتحوّل المعاناة إلى مواجهة مصيريّة مع القدر الذي شاء أن يبعث بالقانص تصحبه كلابه للقضاء على الثور والاستفادة من جسمه، عاش الثور حالة الرعب والفزع من جهة. ومن جهة ثانيه استجمع قواه العصبية والجسدية واستنبط منها قرار المواجهة والثبات بشجاعة، ثمّ ينتقل بنا الشاعر إلى المرحلة الأخيرة في نفسية الثور، مرحلة النصر حيث النشوة وإظهار المفاخرة والتباهي بنـزع الحياة من براثن القانص وكلابه والنفسيه الثانية أشار إليها الشاعر في قصته الطرديّة السابقة هي نفسية الصائد النحيف الفقير الذي عاش الفرحة حال رؤيته الثور وتغلَّب لديه اليقين على الشك في أنّه سيحصل على لحم يُقيتُ به نفسه وأطفاله الجياع الذين ينتظرون مجيء أبيهم باللحم بفارغ الصّبر.

النفسيّة الثالثة تَتَعَلَّق بالكلاب التي اعتادت الانتصار في معاركها مع الطرائد ؛ فقد بدأت هجومها في حالة نفسيّة مشبعة بالثقة بالذات، لكنّها سرعان ما يتغيّر موقفها أثناء المواجهة، خاصّة عندما سال دمها وقتل بعضها ؛ وإذا بها تعيش الرُّعب والهزيمة والمذلّة.

هناك شخصيّات في الظلّ وهي شخصيّات زوجة القانص وأطفاله على افتراض وجودهم ؛ فقد عاشوا حالة الأمل بخروج معيلهم للصيد، لكنّهم سرعان ما يعيشون الخيبة والألم والحزن، عندما رأوا ربّ البيت يعود خائباً.

نظم زهير بن أبي سلمى في القصة الشعرية الطردية، رغم أنّه كان مشغولا بالمكارم وأعمال الخير والإصلاح، وقد انعكست أخلاق زهير على صيده، فكان لا يأخذ صيده بالخديعة، ولا شك أن زهير مقت الخدعة التي تركت أثراً جارحاً في نفس ذلك الشاعر، ولا عجب في ذلك فهو الذي يعلم أنّ الخدعة كانت السبب في نشوب الحرب بين عبس وذبيان حول السباق بين الفرسين داحس والغبراء، هذا بالإضافة إلى أنّ عدم أخذ الصيد بالخدعة مهارة وشجاعة، ومفخرة من مفاخر الصّيادين المهرة المدرّبين.

يحدثنا زهير في مقطوعة شعريه طردية عن غلام جاء ينبيء بمكان الصّيد وهو حذر محتاط

و يدبّ ويخفي شخصه ويضائله، ثم يمضي زهير مصوّراً المشهد بدقّه وشموليّه، فهناك حمر أربع، ثلاث منهن ضامرة وأمّا الرابع فهو الفحل، وقد بلغ الشاعر منتهى الدقه في تصويره أثناء رسمه الحمار، وهو يرعى النبات المخضّر، حتى ظهرت خضرته في فمه، ومن خلال هذا الجوّ المليء بالفزع والإضطراب والقلق يوصي زهير الغلام ويرشده إلى الطريقه التي يجب أن يتبعها ليتمكن من اصطياد الحمار.

يقول زهير في مطلع القصة الشعرية: [28]

إذَا مَا غَدَوْنا نَبْتَغي الصَّيْدَ مرَّةً   مَـتَـى نَـرَهُ فَـإنّـَنـا لاَ نُخَاتِلُه
فَبَيْنا نُبَغِّي الْوَحْشَ جاءَ غُلاَ مُنَا   يَدبُّ وَيُخْفِي شَخْصَهُ وَيُضَائِلُهْ
فَـقَـالَ شِـيَـاهٌ راتِـعاتٌ بِقَفْرَةٍ   بِمُسْتأْسِدِ الْقُرْيان حُوٍّ مَسَائِلُهْ

تقوم هذه القصّة الشعريّة على الحوار بنوعيه: الداخليّ والخارجيّ. ومن خلال الحوار الداخليّ يلمس القارئ إحساس الغلام الرّبيء الذي كان يخشى أن تُحس الأُتن بوجوده قريبا منها، ويترك لنا الشاعر تصوّر إحساسه وأحاسيس من كانوا معه حال سماعهم نبأ وجود الحمير الوحشيّة قريبًا منهم. ومن خلال الحوار الخارجيّ المباشر يدور الحديث حول خداع الصيد أو مجاهرته. والمعروف أن زهير كان يكره الخداع في أي حال من الأحوال. ومن خلال هذا الحوار يشير الشاعر إلى صعوبة ونشاط الفرس. وكان يتجرّد من الثياب لمعالجته وركوبه، كما يشير الشاعر إلى توجيه غلامه كيفيّة إدراك الصّيد وقتله.

من خلال السّرد يتنقل بنا الشاعر تدريجيّاً مع مراحل القصّة الشعريّة هذه، حيث تواصل الأحداث والمشاهد والحوار. ومن هذه العناصر كوّن الشاعر مبنى القصّة بشكل جيّد النسيج والوصف والتشبيه. ومن خلال السّرد أيضًا يبرز الشاعر نجاح الغلام في مهمة الصيد التي أُسندت إليه، حيث أجاد فروسيّة الصيد، لمّا انصبّ بالفرس وراء الحمير الوحشية كانصباب المطر الشديد، ولمّا حمل الفرس من السير على ما أَحبَّ وكره.

استعمل الشاعر التشبيه والوصف والزمان والمكان بشكل يتناسب مع أحداث القصة، وظروفها وشخوصها التي تتألف: من الشاعر وصحبه، والغلام والفرس والأُتن الوحشية. وقد أجاد الشاعر الاعتماد على عنصر الخيال من خلال القصّة. ومن خلال السّرد أفصح الشاعر عن رسم لوحته الطرديّة المستقاة من أرض الواقع – البيئة الصحراوية – والتي شملت العناصر والجزئيات المختلفة ؛ فهناك الأتن الوحشية، وفريق الصيد والفرس، والحصى يُثار في وجه الفرس ومشهد قتل العير وعودة طاقم الصّيد باللحم ومنظر الفرس

وقد خضِّبت قوائمه بالدّم.

ولزهير قصة شعرية طردية أُخرى، مدح بها هرم بن سنان، ثم تغزّل بأسماء حبيبته، ويستطرد إلى وصف الناقه التي شبّهها بثور نسج حوله القصة التي سنتناولها. وقد تخلّص الشاعر من غرامياته وعواطفه بعبارة " عَدِّ عما ترى " قاصداً بها نسيان الأحبه، لأنهم ارتحلوا مع قومهم ولا سبيل إلى زيارتهم، وَبِنَسْجِ القصة الشعريه الطردية هذه أراد زهير أن يجد له ما يشغله عن متاعب الهوى، وأن يستحضر متنفساً لأعباء الحب –ربما الحب المصطنع–، فطبيعة الصحراء مليئه بالمتاعب والمشاكل والتعقيدات. يرعى الثور في كلأ مكانين من بلاد تميم وهما: " أَوْراك وناصفة "، وكان الفصل شتاءً ولما حل فصل الربيع غادر الثور المرعى طالباً الماء لأن الغدران جفت في تلك المواضع، انفرد الثور في المكان وحده، وأكل من العشب معجباً بما هو فيه، وقد طابت له المراتع ولكنه لم يضخم. انتقل ذلك الثور إلى جبل عماية وإلى موضعي الرَّكاء والعمق، وإذا بالمطر يسقط عليه ويروي الأرض ويستتر الثور في حُفْرَةٍ حَفَرها بأظلافه، ولَمَّا انتهى إلى الرّمل الجاف انهال عليه، واستذرى من الريح بقرنيه وجبهته وبقي على هذه الحال حتى غرب نجم الجوزاء، وفي الصّباح فاجأته كلاب الصيد التي تصحب صياداً غير متعجرف، والكلاب زرق العيون هزيلة ومُجوّعة لتكون حريصه على طلب الصيّد وعندما طلعت الشمس وخشي الثور أن تدركه الكلاب كرَّ عليها وطعن أقربها إليه طعنة بقرنه، نفذت إلى جوفه حيث تدفّق دم الكلب فيصرع، ثم يستطرد الشاعر إلى وصف الممدوح على عادة شعراء الجاهليه.

يقول زهير في مطلع القصة الشعرية :[29]

كَأنَّ كُورِي وأَنْساعي وَميتَرتي   كَسَوْتُهُنَّ مُشِباً نَاشِطًا لَهَقَا
رَعَى بِغَيْثٍ لأوْراك فَنَاصِفَةٍ   مِنَ الشّتَاءِ فَلمَّا شَأْوُهُ نَفِقَا
وَقَدْ يَكونُ بِهَا حِيناً تَعَزُبُهُ   وَقَدْ تَطَرَّفَ مِنْ حَافَاتِها أَنِقَا
عِشْراً وَخِمْساً فقد طابَتْ مراتِعُهُ   من الرَّبيع وَلمْ يَبْدُنْ وَقَدْ زهِقا

بدأ الشاعر قصته الشعريه بعرض لوحة طبيعيه حيث العشب الأخضر والمطر والماء والريح، وفي هذا الجو وفي هذه البيئه تجوّل الثور بطل هذه القصة وحفر له حفرةً استتر فيها، وفي هذه البيئة بدأت الأحداث وانتهت وقد أجمل الشاعر قصته هذه بمطاردة كلاب القانص ثورا وحشيا حيث انتصر ذلك الثور في نهاية المعركة. اعتمد زهير في هذه القصة الشعرية الحوار

الداخلي والسّرد ومن خلال الحوار الداخلي – النفسي – يلمس القارئ تطور الحالة النفسيه لدى الثور، ففي البداية يبرز الثور ناعم البال، حيث طابت مراتعه ثم يَسُوءُ وضعه وقت نزول المطر الشديد وعند هبوب الريح الباردة ليلاً, وتطلع شمس اليوم الثاني فيتعرض الثور لمهاجمة الكلاب ويعيش لحظات الفزع والاضطراب، ويجمع قواه العقلية والجسدية ومن خلال ذلك يصمد في المواجهة ويقتل أحد الكلاب وتلجأ الأخرى إلى الفرار، ويخرج الثور منتصراً. استعمل الشاعر التشبيه والوصف والزمان والمكان وعناصر الطبيعية من سحاب ومطر وريح ونجوم وشمس، واعتمد على هذه العناصر في إبراز حوار ونسيج قصصي مقتضب موفّق.

نظم امرؤ القيس في القصة الشعرية الطرديه كغيره من شعراء الجاهليه، رفض ثور امرىء القيس الهزيمه، وتمسّك بالحياة، وصارع الخصم، مستميتاً في الدّفاع عن النّفس تصدّى للكلاب وتحدّاها وفتك بها وهذا ما ألفناه لدى غير امرئ القيس من شعراء ما قبل الإسلام.

على عادة بعض شعراء القصّة الشعريّة الطرديّة استطرد امرؤ القيس من ذكر ناقته إلى سرد قصّة تتعلق بحمار وحش هو المشبه به لناقة الشاعر المُفّضَّلة، لمّا دخل الحمار في العشاء – أول الليل – حفر بأظلافه مربضاً ليبيت فيه وقد بات ليلة على خده وجنبه كالأسير المُقَّيد، سقط المطر فانتشرت رائحة بعر الحمار الطيبة،كأنَّهُ يأكل نباتاً طيبّ الرائحة وفي الصّباح فاجأت الحمار كلاب الصّيادَيْن " ابن مرّ وأبن سِنْبِس " المشهورين بالصيد. كانت الكلاب مجوّعة، لتتنشط في الصيد. وقد احمرّت عيونها من شِدّة إغرائها بالصيد. كان الحمار الوحشي قوّيا نشيطاً، وأدرك أنّه أمام مواجهة مصيريه وكادت الكلاب تصله، لكنه أفلت منها بنشاطه وقوته وثباته فعادت الكلاب بعد مطارده مضنبه طالبة الظلّ والراحة ودخلت تحت شجر الغضى وغُرْن في ظلّه كما يغور النّجم. وكان الثور بعد طول المطاردة أشبه بفحل الإبل الكريم القويّ النشيط. يقول امرؤ القيس في مطلع القصة الشعرية:[30]

كَأَنِّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ قَارح بِشَرْبَةَ، أَو طاو بعِرْنان موجِس
تَعَشَّى قَليلاً ثُمّ أَنْحَى ظُلُوفَهُ يُثِيرُ التُّرابَ عَنْ مَبيتٍ وَمَكْنِس
يَهِيلُ ويُذْرى تُرْبَها ويُثيرُهُ إثارةَ نبّاث الْهَوَاجِرِ مُخْمِس
فَباتَ على خَدٍّ أَحَمَّ وَمَنْكب وَضِجْعَتُهُ مِثْلُ الأَسِيرِ الْمُكَرْدَس

ما يميز هذه القصّة الشعريّة الطرديّة هو أنّ الشاعر جعل المعركة سجالاً، لا غالب فيها ولا

مغلوب. وما هذه النتيجة التي تعمّد الشاعر إنهاء قصّته بها إلا مرآة الصراع القبليّ في عصر الجاهليّة، حيث كانت الفئات المتحاربة تهتمّ في ألاّ يكون هازم ومهزوم وألا تؤدّي المعركة إلى الثّأر. كان المتحاربون يدركون أنّ الحرب يوم لك ويوم عليك. كان الطرف المهزوم يلجأ إلى قبائل يطلب منها المساعدة لأخذ الثأر. لذا كان التعادل إنهاءً للصراع في معظم الحالات.
استعمل امرؤ القيس التشبيه والوصف على الوجه الجيد الرائع، وأشرك عناصر الطبيعة المتحرّكة والساكنة في قصّته، التراب الحُفَر المطر رائحة الْبَعَر، واستعمل الزمان والمكان لربط الأحداث أثناء السرد والنسيج. ومن خلال الحوار كشف الشاعر عن حالة الثور النفسيّة المتطوّرة ؛ فقد نام الحمار الوحشيّ في مربضه الذي حَفَره، ليبيت ناعم البال وفي الصباح يفاجأ بمهاجمة كلاب الصيد إيّاه ؛ وإذا بالهدوء ينقلب إلى حالة فزع واضطراب، وتُفرض عليه المواجهة ويدرك أن ثمن حياته هو قتل مهاجميه وتنتهي المعركه بالتعادل وتنسحب الكلاب ويعود الهدوء والأمن والأستقرار إلى نفس الحمار الوحشي. يستطيع القارئ أن يرسم من هذه القصة الشعرية لوحة فنيه طرديّه صحراويه تشمل جميع الجزئيات الصغيرة والكبيرة والألوان المختلفه بالإضافة إلى العناصر الرئيسة في اللوحة إنّ هذه القصّة الشعريّة الطرديّة رمزيّة وهي ترمز إلى الحياة القبليّة العربيّة قبل الإسلام، حيث الغارات المفاجئه والحروبات المستمرّة وعدم الأمن والاستقرار.
لامرئ القيس قصّة شعريّة طرديّة أُخرى مميّزة، أَجْمَلَ الشاعر القصّة بإرسال الربيء لمراقبة الصيد من مكان عال. رأى ذلك الراصد قطيعًا من البقر الوحشيّة وجماعة من النعام، فأُلجم الفرسُ وركبه غلام بعد معالجة لشدّة نشاط الفرس الذي أسرع في عدوه كسرعة انقضاض الباز على أرنب رأه من عُلوّ. وقد نجح الغلام في اصطياد ثور من بقر الوحش وحمار وظليم قبل أن يعرق الفرس، وكثر الصَّيد، وقام الأصحاب يشوون اللحم ناعمين كأنهم ملوك البحرين – كنايه عن كثرة الصيّد –، وعادوا بفرس نشيط يدعو إلى الافتخار به وقد تلطّخ بدماء أوائل الطرائد التي اصطيدت. يغلب الحوار الداخلي – النفسي – على هذه القصة الشعرية الطردية، ومن ثنايا هذا الحوار يقف القارىء على حقيقة شعور الراصد، وهو يزحف ويمسح الأرض ببطنه خشية أن يراه الصيّد، وكما يلمس شعور جماعة الصيّد وهم يراقبون عملية الصيد يتمنون التوفيق للغلام الذي يطارد البقر الوحشيه وغيرها، ولنا أن نتخيل كيف كانت عيونهم مشدودة إلى عملية الملاحقه والمطارده ويتصور القارىء أيضا الفرحه

العارمه التي غمرت مجموعة الصيّد وقد ححقوا الهدف من رحلتهم الممتعه، وبخاصه وهم يشترون اللحم ويأكلونه، وعلى رأسهم الشاعر الذي فاقت فرحته كل فرحة ونلمس ذلك من إعجابه بفرسه وإعزازه وإكرامه إيَّاه حيث شبهه بالطائر والسهم المنطلق من اليد بجامع الخفّه والإنطلاق السريع. عبر الحوار المباشر يلمس القارىء علم الصَّيد، يعلم أن هنالك خطه مدروسه يتخذها الصّيادون ويتقيّدون بها من أجل الفوز بالصيّد. فهناك الراصد الذي أتقن دوره في المراقبه وإيصال المعلومات عن الصيد إلى المسؤولين، وهناك إعداد الغلام القوي الجريء المكلّف بركوب الفرس المعد للصيد وهو مميّز يتحلى بجميع صفات القوة والنشاط والتدريب، ولا ننسى التوجيه السليم الذي قام به الشاعر وهو رئيس الجماعه كما يبدو.

استعمل الشاعر في هذه القصة التشبيه والوصف والكناية وأسلوب المراعة والحيلة واعتمد على هذه العناصر في نسيج قصته، كثر عدد الشخوص في هذه القصة ومن الشخوص الإنسية، الشاعر،الراصد، الغلام وآخرون، وهنالك شسخوص حيوانيه وطيور هي: الفرس، ذئب الغضى، الخفش – صغير الظبي –، الباز، الأرنب، الثور، العير – قافلة الحمير –، والظليم – ذكر النَّعام –.

يقول امرؤ القيس:[31]

بَعَثْنَا رَبيئاً قَبْلَ ذَلكَ مُخْملاً   كَذئْبِ الْغَضَى يَمْشِي الضَّراءَ وَيَتَّقِي
فَظَلَّ كَمثْل الخشْف يَرْفَعُ رَأْسَهُ   وَسَائِرُهُ مِثْلُ التُّراب الْمُدَقَّق
وَجاَءَ خَفِياً يَسْفِنُ الأَرْضَ بَطْنُهُ   تَرَى اَلتُّرْبَ مِنْهُ لاصقاً كُلَّ مُلْصَقِ
فَقَالَ أَلاَ هَذا صُوَارٌ وَعَانَة   وَخيطُ نَعامٍ يَرْتَعِي مُتَفَرِّقِ

في معلقته يقصُّ علينا امرؤ القيس يوم صيد عاشه مع أصحابه، ظهر للشاعر وصحبه قطيع من بقر الوحش تشبه أبقاره العذارى في المشية وهن يرفلن في الملاحف الطويله والبياض والبريق واللمعان كما شبه النِّعاج على اختلاف ألوانها بقلادة خرز يمني في عنق صبي شريف وقد أدرك الفرس – لشدّة عدوه – أوائل الصَّيد تاركاً وراءه أواخرها مجتمعه غير متفرقه وقد ساهم الفرس بالحصول على الصيد وقد قام بجهد عظيم دون أن يعرق، وكانت وليمة كبرى فمن لحم مرقّق مشويّ، ولحم مطبوخ في القدر على عجل وكان الفرس محط إعجاب الناظرين إليه وقد تلطّخ صدر ذلك الفرس بالدم.

تميّزت هذه القصة الشعرية الطردية بالإنجاز وقلة عدد شخوصها واكتفى الشاعر بذكر نفسه من بين صحبه وذكر الفرس وسرب النّعاج لم يكثر الشاعر في قصته من التشبيه أو النعوت وأُنتهت القصة بالفوز والفرحه حيث أُقيمت وليمه ممتعه قُدِّم فيها كلّما يشتهى من اللحم المرقّق المشوي واللحم المطبوخ، يلمس القارئ من نهاية هذه القصة إعجاب الشاعر بفرسه الذي تميّز بقوته وعظم نشاطه، يقول امرؤ القيس في مطلع القصة الشعرية:[32]

فَعَنَّ لَنَاَ سِرْبٌ كأَنَّ نَعاجَه   عَذاّرىَ دَوَارِ في الْمُلاءِ الْمُذَيَّلِ
فَأَدْبَرْنَ كالْجَزْعِ الْمُفَصَّل بَيْنَهُ   بِجيدِ مُعَمٍّ فيِ الْعَشِيرَةِ مُخْوَلِ
فَأَلْحَقَناَ بالْهَادياَتِ وَدُونَهُ   جَواحِرُها في صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ
فَعادَى عِداءً بَيْنَ ثَورٍ وَنَعْجَةٍ   دِراكا وَلَمْ يُنْضَجْ بِماَءٍ فَيُغْسَلِ

في إحدى لامياّته يحدثنا امرؤ القيس عن خروجه مبكّرا، بينما الطيّور في أوكارها قاصداً موضعا تتابعت عليه الأمطار كامل الخصب وافر النبت خرج الشاعر راكبا فرساً قوّية، ضامرة شديدة تشبه هراوة الحائك لصلابتها. يذكر الشاعر أنّه تصيَّد بهذه الفرس، وذعر بها قطيع بقر بيض الجلود، ودقيقه السيقان التي فيها سواد وبياض. ذعر الشاعر البقر الوحشيه بفرسه، وجعلها تعدو مسرعة كالخيل، واحتمت البقر بفحل منها مسنّ قصير الأنف وأخذت الفرس تَصرع من القطيع ثوراً ونعجةً الواحدة تلو الأخرى، وأخيراً يشبه الشاعر فرسه بعقاب لينه الجناحين منتفختها أثناء ملاحقتها البقرة الوحشية بالغ الشاعر في قوة العقاب – الذي شبه فرسه بها وجعلها تخطف الأرانب بسرعه وتختفي منها ثعالب أورال، وتعيش فراخها على قلوب الطير التي تصطادها.

بدأ امرؤ القيس قصته الشعريه بالإفتخار بنفسه ونسبه، فهو يأتي أماكن لا يأتيها غيره. اعتمد الشاعر في هذه القصه الشعرية التشبيه والوصف دون السَّرد والنسيج، فقد شّبه فرسه بهراوة الحاءك ثم شّبهها بعقاب تخطف الأرانب وتختفي منها ثعالب أورال وشبه البقر الوحشيه بالخيول الجوّاله عمّ الحوار الداخلي هذه القصة الشعرية، تبرز عبر هذا الحوار اللوحه الطرديه الصحراوية الرائعه وتشمل هذه اللوحه مشهد الصّراع والكفاح، الذي يدور حقيقةً بين الفرس والبقر الوحشية يتزعمها فحلها، وتشمل الكفاح الخيالي الذي تصوره الشاعر يدور بين العقاب وصيده من أرانب وثعالب، وتشمل اللوحة مشهد لجوء البقر الوحشية إلى فحل منها ليحميها ولا شك أن الشاعر يستحضر مشهد لجوء نساء القبيلة إلى

رجالها وقت الغارة ليدافعوا عنهم وليصدوا العدوان، وبالإضافه إلى ذلك استحضار المشهد كصورة صحراوية واقعية.

يقول امرؤ القيس:[33]

وَقَدْ أَغْتَدي والطَّيْرُ في وُكُناَتها   لِغَيْث مِنَ الْوَسْميِّ رَائدُهُ خَال
تَحاماَهُ أَطرافُ الرِّماحِ تَحامِياً   وَجـاَدَ عَـليْه كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّال
بِعِجْلِزَة قَدْ أَتَرَزَ الْجَرْيُ لَحْمَهاَ   كُـمَـيْـت كـأَنَّهاَ هراوَةُ منْوال
ذَعَـرْتُ بِـهـاَ سِرْباً نَقِياً جُلُودُهُ   وَأَكْرُعُهُ وَشْيُ الْبُرود منَ الْخَال

وفي قصة شعرية طرديه أُخرى يسرد امرؤ القيس قصة انتصار العقاب – التي شبه بها فرسه – على الذئب، أبصرت العقاب خيال الذئب من موضع عال جدا و فانقضت عليه بسرعه انحطاط دلو انقطعت سيورها وخيوطها المصنوعه من القنّب أو الشّعر، وكان موقف الذئب صعبا فجد في الهرب ولحق به العقاب وسابقا الريح أثناء المطاردة أدركت العقاب الذئب وَنقبته بجنبه، فلاذ إلى جحر بالصخر، ولحقت به تضرب به التراب لتنال منه وكانت محاولتها فاشلة.كان الموت من الذئب قاب قوسين أو أدنى، وظل يراقب وهو في جحره العقاب تمسّكًا بالحياة.

اعتمد السّرد في هذه القصة الشعرية على التشبيه والنعوت بشكل مكثف أشرك الشاعر في قصته عناصر اجتماعيّة وطبيعيّة، وقد نجح في نسج قصة شعرية طرديه معبّره عن حياة الصحراء وبيئتها من العناصر الفنية المذكورة. يقول امرؤ القيس في مطلع القصة الشعرية:[34]

كأَنَّها حِينَ فَاضَ الْماءُ واحْتَفَلَتْ   صَـقْـعَـاءُ لاَحَ لَـــهاَ بالسَّرْحةِ الذيِّبُ
فَــأَبْـصَرَتْ شَخْصَهُ مِنْ رَظأَس   مَرْقَبَة وَدُونَ مَوْقِعهَا منْهُ شَنَت خيبُ
صُبَّتْ عَلَيْه وَمَا تَنْصَبُّ مِنْ أَقم   إنَّ الـشّـقَـاءَ عَلَى الأَشْقَيْن مَصْبُوبُ
كـالـدَّلْوِ بُتَّتْ عُراهَا وَهِيَ مُثْقَلَةٌ   وَخـاَنَـهَـا وَذَمٌ مِـنْـهَـا وَتَـكْـرِيـبُ

تطور القصص الشعري الطردي وبرزت فيه ظاهرة الإستطراد، حيث يصرف المتكلم حديثه عن وجهه الأول إلى وجه آخر، وينتقل من فكرة إلى أخرى أو من قصة شعرية إلى غيرها. يرغب شاعر الاستطراد في تنويع الحديث عما يستطرد إليه، ويفتَنُّ في وصفه، بما يكشف عن خصائصه ومزاياه بشكل واضح.

بعض الاستطراد موجز، فكأنّه اللّمسات اليسيرة، يُعبر بها الرَّسام الماهر عن تجربة له

سريعه، أو خَطْرة عابرة كما صنع امرؤ القيس عندما استطرد من وصف فرسه، وشبهها بعقاب شديدة السرعه ليّنة الجناحين، تنقض بهما على الصّيد بسهولة، ويسر فخافتها ثعالب أورال، واتقتها، لياذا بجحورها، تقبع فيها ريتما ينصرف العقاب ولو قدّر لامرء القيس أن يبلغ وكرها لرأى قلوب صيدها منثوره فيه ما بين غضّ نديّ كأنّه العنّاب الناضر، وقاتم متغضن كأنه التمر الرّديء وقد بَعُدَ العهد به فَيَبُسَ، وأدركه البلى والفساد، لأن فراخ العقاب تأكل لحم الطير وتدع قلوبها كما يقال.

يقول امرؤ القيس في مطلع القصة الشعرية [35]

كَـأنيِّ بِـفَتْخاءِ الْجَنَاحَيْن لِقْوَةِ   صَيُود منَ الْعِقْبَان طَأْطَأْتُ شِمْلاَل
كَأَنَّ قُلُوب الطَّيْرِ رَطْباُ وَيابِساً   لَدَى وَكْرِها الْعُنَّابُ والْحَشَفُ الْبَالِي

أمّا النابغه الذُّبياني فقد استطرد في قصته من وصف ناقته إلى سرد قصة حول ثور اَتخذه النابغه بطلا لقصته وشبّه ناقته به.

يقول النابغه في مطلع القصة الشعرية: [36]

وَمَهْمَه نَازِحِ، تَعْوِي الذِّئابُ بهِ   نـاَئـي الْـمِـياه عَـنِ الْوُرّاد مِقْفَارِ
جَـاوَزْتُـــهُ بِـعَـلْـنداةٍ مُنَاقِلَةٍ   وَعْرَ الطّرِيقِ على الإِحزانِ مِضْمارِ

استطرد الأعشى من ناقته إلى مهاة ثكلت – في قصة شعرية طردية – صغيرها الوحيد غيلة وخداعاً. يقول الأعشى في مطلع القصة الشعرية[37]

وَبَـلْدَةٍ يَرْهَبُ الْجَوَّابُ دُلْجَتَها   حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْها يَبْتَغِي الشِّيَعَا
لاَ يَسْمَعُ الْمَرْءُ فِيهاَ ما يُؤَنِّسُهُ   بِاللَّيْلِ إلاَّ نَئِيمَ الْبُومِ والضُّوَعَا

استطرد زهير بن أبي سلمى من فرسه إلى قطاه وليس إلى ثور أو بقر وحشيه أو عقاب.

يقول زهير [38]

وَقَـدْ أَراني أَمامَ الْحَيِّ تَحْمِلُني   جَرْدَاءُ لاَ فَحَجٌ فِيها وَلاَ صَكَكُ
مَـرَّ كِـفَاتاً إذَا ما الْماءُ أَسْهَلَهَا   حَتَّى إذَا ضُرِبَتْ بالسَّوْط تَبْتَرِكُ
كأَنَّها مِنْ قَطَا الأَجْبَابِ حَانَ لَهَا   ورْدٌ وَأَفْرَدَ عَنها أُخْتَها الشَّبَكُ
جُونِيَّةٌ كَحَصاةِ الْقَسْمِ مَرْتَعُها   بَالشِّيِّ ما تُنْبِتُ الْقَفْعَاءُ وَالْحَسَكُ

استطرد الشاعر عبيد بن الأبرص من فرسه إلى عقاب نسج حولها قصة شعرية طرديه، طارد في هذه القصة العقاب ثعلبا فأدركته ومزَّقت جسمه وأصبح الثعلب أثرا بعد عين يقول

عبيد بن الأبرص [39]

فَذَاكَ عَصْرٌ وَقَدْ أَراني تَحْمِلُني نَهْدَةٌ سُرْحُوبُ
زَيْـتِـيَّةٌ ناعِمٌ عُرُوقُها وَلَـيِّـنٌ أسْـرُهــاَ رَطيبُ
كـأَنَّـها لِقْوَةٌ طَلوُبُ تُخْزَنُ في وُكْرِهَا الْقُلُوبُ

اتى أوس بن حجر باستطراد يعتبر تجديدا في شعر الإستطراد الطردي، حيث استطرد من الرمح والدرع والسيف إلى القوس التي نسج حولها قصة شعريه تحدَّث فيها عن استخلاص تلك القوس من شجرة تنبت في موضع منيع على جبل عالٍ صعود قمة الجبل والنزول منها صعب جداً، استعان الشاعر برجل خبير من قبيلة بيدعانٍ، ووصل إلى الشجرة متحديا المخاطر لنفاسة تلك الشجرة عادبالقوس طريّة بعد مواجهة صعوبة النزول ترك القوس تحت أشعة الشمس ليجفّ ماؤها فتزداد صلابةً، وأعد الشاعر القوس إعداداً متقنا حتى غدت قوساً لا تعاب.

يقول أوس بن حجر في مطلع القصة الشعرية [40]

وَإِنّي آمرؤ أعْدَدْتُ لِلْحَرْب بَعْدَمَا رَأَيْـتُ لَـها نــاباً من الشَّرِّ أَعْصَلاَ
أَصَـــمَّ رُدَيْـنِـيــاً كــأَنَّ كُـعــوبَهُ نَوَى الْقَسْبِ عَرَّاصاً مُزَجًّا مُنَصَّلا
وَأَمْـلَـسَ صُـولِيّـًا كَنِهْيٍ قَرارَةٍ أَحَـــسّ بـقَــاعٍ نَـفْحَ ريحٍ فأَجْفَلا

افتخر الشاعر بوسائل الحرب – بالرمح والدرع والسيف والقوس – ولكنه اهتم بالقوس واستطرد إليها لينسج حولها القصة السابقه، تتابعت أحداث هذه القصة في اتساق دون انحراف، واكثر الشاعر التشبيه والوصف وكان السرد مقتضبا والحوار داخليا مميزا يقوم على المفاخرة والإعتداد بالذات وإظهار البطوله والمكانه الإجتماعيه المميزه.

حصل تطور في شعر الإستطراد، وبرزت ظاهرة الإستطراد المكرر، حيث انتقال الشاعر " الشَّماخ بن ضرار التغلبي وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهليه والإسلام " في قصة شعرية له من وصف ناقته إلى قصة حمار وحش كان في جماعة من الأُتن اشتد العطش بالحمار وأُتنه، فانطلق بها يطلب الماء وكانت تتجنّب الوعورة وأماكن الصّيادين، وخصّ الشاعر بالحديث راميا صحابيا كان أرمى زمانه وكانت له قوس نادرة، ثم يترك الشاعر الحديث حول الأتن وشأنها، وينصرف إلى القوس ليسرد قصة حول الشجرة التي انجبت تلك

القوس، ونبتت في موضع منيع ترعرعت فيه، وصف الشاعر تلك الشجرة وصفا بارعاً دقيقاً، ثم عاد إلى الأتن التي تركها عطشى ولا تزال تجدُّ في طلب الماء فأوردها الحمار ماءً نهلت منه ثم نقلها إلى ماء آخر، ثم ترك الشاعر هذه الأتن عند ذلك الحمار الذي شبّه به ناقته.
يقول الشمّاخ في مطلع القصة الشعرية: [41]

وَعَوْجاَءَ مِجْذَام، وأمْر صَرِيمَةٍ   تَرَكْتُ بِهَا الشَّكَّ الذَّي هُوَ عاجزُ
كَأَنَّ قُتُودي فَوْقَ جَأْبٍ مُطَرَّدٍ   مِنْ الحُقْبِ، لاَحَتْهُ الجِدادُ الغَوارِزُ
طَوَى ظِمْئَهَا في بَيْضَةِ الصَّيْفِ بَعْدَمَا   جَرَى في عِنَانِ الشِّعْرَيَيْنِ الأَمَاعِزُ

لقد تقارب شعراء القصة الطردية بما فيه الإستطرادية في طبيعة قصصهم وفي محتويات القصة وفنيّتها فالحمار الوحشي ظامىء دائما والصائد له بالمرصاد في معظم الحالات والطائر الجارح يغدو إلى الصّيد بكرة بعد ليلة باردة يقضيها في راس جبل شامخ لاشيء يغطيه.

أتخذ الشاعر الجاهلي الحمار الوحشي بطلا لقصّته فخلع عليه النعوت التي انتقاها له وأسند إليه أدوارا هامّه ذات قيمه عالية وذلك ليشبه ناقته: فهو سريع وقوّي، وصلب، وعنيد ومنتصر أوصاف وتشبيهات أولئك الشعراء مشتركه، ولا عجب في ذلك فهم يستقون نظمهم من وجدانية متشابه ونبع واحد هو الصحراء المترامية الأطراف وما فيها من واقع ثابت لا يتغيّر.
انقسم شعراء القصة الطردية إلى فريقين: فريق رعى بطل قصته، حيث وّكَّلّ إليه أعمالا ونسب إليه أحداثاً أو أدراها حوله ليخرج منتصرا فيفتخر به وفريق تخلّى عن بطله وسلّمه للأقدار تقضي قضاءَها فيه.
التشبيه قاعده القصة الطردية، والطردية الإستطرادية وهو وسيله رسم اللوحات الطردية وزخرفتها وإبراز الحركه وإظهار الواقعية على أبدع حال.
ما يُميّز القصة الشعرية الطردية، والطردية الإستطرادية أنّها مفعمه بالحياة النابضه والحركه والصوره الحياتية وإبراز واقعيه الصراع على ارض واقع بنسبة عالية وفي معظم الحالات وخلاصة القول فإنّ القصة الطردية بأشكالها المختلفه لوحة طبيعيه شامله تختزل في خطوطها العريضه وجزئياتها كل معاني الحياة الصحراوية وأشكالها، وأسرارها وخفاياها، وتشمل ترجمات لكل القلوب الخافقه إنسانيه كانت أم حيوانيه وفيها تصوّر الأحاسيس والإنفعالات التي بعثتها وأثارتها العوامل المختلفه في عالم متفكك لا ضابط له غير الغرطسة والجبروت والظلم القاتم.

اتّسمت القصة الشعرية الطردية بأسلوب التقرير والواقعيه والحوار بنوعيه الداخلي وهو المسيطر في كثير من الحالات والحوار الخارجي المباشر الأمر الذي اقتضى الإكثار من الوصف والتصوير والتقصير والإيضاح القائم على تكثيف التشبيهات، تمكن الشاعر الجاهلي – في القصة الطردية – من تتبّع حركات الإنسان والحيوان على أرض الواقع وتعقب أحاسيسه وما يدور في خياله من ظنون وأفكار وتصورات وتدبيرات نابعه من ظروف المفاجآت ومثل هذه الأشياء لا يصل إلى أبعادها إلا شاعر فنان منحته ظروفه وبيئته قدرة الإبداع في تصويرها وبلورتها والوقوف على كل صغيره وكبيره فيها.

تمكَّن شاعر القصة الطردية من إتقان رسم اللوحات الطبيعيه واعتمد فيها استخدم التشبيه لتقريب الصور وجعل المشهد واضحاً وملماً بالعناصر الرئيسه التي تلتقي في بناء القصة، يساعد التشبيه على تأكيد المعنى وملاءمة الأشياء للواقع، وتبسيطها وإبعادها عن عمق الخيال والمغالاة.

لقد اتّسمت حياة الصحراء بالتجوال والترحال سعيًا وراء الماء والعشب والأمن والحبّ. والبيئة الصحراوية زاخرة بالمشاهد الطبيعية الرائعة على مختلف أشكالها وتنوع لوحاتها، وقد نشأ الشاعر الجاهلي وترعرع وكبر وأشتد ساعده على بساط تلك البيئة التي تجول فيها من مكان إلى أخر، تحمله سفينة الصحراء ـــ ناقته ـــ الضخمة الصلبة الى حيث يشاء. تأثر الشاعر الجاهلي بكل ما شاهده في ترحاله وتنقلاته، وكانت تلك المشاهد تنعش مشاعره وتلهب خياله فينظم الشعر صادقا ويجعل من ناقته ووصفها قاعدة للوصول إلى غرض شعري يدور في خياله حتى يرى نفسه يُشَبِّهُ ناقته بحيوان أوطير ينسج حوله قصة طردية مؤثرة، ومن خلال هذه القصة كان ينعت المشبه به لناقته الصفات اللائقة بها عنده. وكان هدفه من هذا التشبيه التصريح بأن ناقته وسيلة السفر. ومحطمة الصعوبات ومشقات السّفر.

ومن خلال السرد كان الشاعر يتعرض إلى رسم شخوص قصته، وما وقع لها من أحداث لها طابع الحركة والتطور والتشابك والالتحام.

بطل القصّة الطرديّة إمّا أن يكون حمار وحش أو ثورًا أو بقرة وحشية أو نعامة أو ظليم، أو قطاة أو ذئب، وهؤلاء يمثلون دائما دور المُطارَدين أما المُطَارِدُون: فهم الصَّياد وكلابه، والوحوش، والعقاب.

وهنالك قصص طردية رسمها الشاعر ونسج خيوطها ولم يشارك في أحداثها، بل كونها في خياله إعجابا براحلته وبنفسه ومزاياها.

أمّا فرسه فهو عماد حياته في ساحات القتال والغارات وفي ردّ المعتدي والصّيد وأَمّا الناقة فهي المعتمد عليها بدون منازع في الترحال وحمل الأثقال. القصص الطردية تخلو من إطالة السرد والحوار وتزخر بالتشابيه والنّعوت. وهي مستقاة من وحي الخيال المبني على الواقع.

قلّد الشعراء الجاهليون أنفسهم في تشبيه الناقة بإحدى الأَوابد أو الطير، وفي بناء قصة تدور أحداثها حول مطاردة المشبه به للناقة، وتنتهي القصة بشكل يتناسب مع روح الشاعر ومشاعره تجاه المُطَارَد.

ثبت المصادر والمراجع

بالعربيّة:

1. ابن الأنباريّ، أبو بكر محمّد بن القاسم بن محمّد (940–884/ 328–271): شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات. تحقيق وتعليق: عبد السلام محمّد هارون. القاهرة: دار المعارف، 1963 [ذخائر العرب: 35]
2. ابن رَشِيق، أبو عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزديّ (1071–1000/ 463–390): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه: محمّد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل، ط4، 1972
3. ابن سلام الجمحيّ، محمّد بن سلام الجمحيّ (139–231): طبقات فحول الشعراء. رواية أبي خليفة الجمحيّ عنه / رواية محمّد بن عبد اللّه بن أَسِيد عنه / رواية أبي خليفة الفضل بن الحُباب عنه / رواية سليمان بن أحمد بن أيّوب الطبرانيّ عنه. جدّة: دار المدنيّ
4. ابن قُتَيْبَة، أبو محمّد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (889–828/ 276–213): الشعر والشعراء. تحقيق: أحمد شاكر. مصر: دار المعارف، 1967–1966
5. أبو زيد القرشيّ، محمّد بن أبي الخطّاب (توفي في أوائل القرن الرابع): جمهرة أشعر العرب في الجاهليّة والإسلام. حقّقه وعلّق عليه وزاد في شرحه: محمّد عليّ الهاشمي. دمشق: دار القلم، ط2، 2ج/ 2مج
6. الأصمعيّ، أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عليّ الباهليّ (831–740/ 216–122): الأصمعيّات [= اختيار الأصمعيّ]. تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر / عبد السلام هارون. مصر: دار المعارف، ط2، 1964، [311]ص
7. الأعشى الكبير، أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل الوائليّ (629/ 7): الديوان. شرح وتعليق: محمّد محمّد حسن. بيروت: دار النهضة العربيّة، 1972
8. امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الكنديّ (نحو80–130ق هـ/ نحو545–497م): الديوان. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. مصر: دار المعارف، ط3، 1969
9. أمين، أحمد (1954–1878/ 1373–1295): ضحى الإسلام. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. النقد الأدبيّ. بيروت: دار الكتاب العربيّ، ط4، 1967/ 1387، ج2/ 1مج.

10. أوس بن حَجَر، أبو شُرَيح أوس بن حجر بن مالك التميميّ (2–98ق هـ/ 530–620م): الديوان. تحقيق وشرح: محمّد يوسف نجم. بيروت: دار صادر، ط2، 1967/ 1387، 198ص.
11. البستاني، فؤاد أفرام: المجاني الحديثة عن مجاني الأب شيخو. جدّدها اختيارًا ودرسًا وشرحًا وتبويبًا لجنة من الأساتذة بإدارة فؤاد أفرام البستاني. بيروت: منشورات الآداب الشرقيّة، ج1946:1، 396ص.
12. ثعلب، أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن زيد الشيبانيّ (904–816/ 291–200): شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى. القاهرة: الدار القوميّة، 1964.

13. الجندي، عبد الحميد سند: زهير بن أبى سُلمى: شاعر السلم في الجاهليّة.
14. الجواري، أحمد عبد الستّار: الشعر في بغداد. بيروت: دار المكشوف، 1965.
15. الحاوي، إيليّا سليم: نماذج في النقد الأدبيّ وتحليل النصوص. بيروت: دار الكتاب اللبنانيّ، ط3، 1969.
16. حسنين، سيّد حنفي: الشعر الجاهليّ: مراحله واتّجاهاته الفنّيّة: "دراسة نصّيّة". القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر، المطبعة الثقافيّة، 1971.
17. الحوفي، أحمد محمّد: الغزل في العصر الجاهليّ. بيروت: دار القلم، 1961.
18. خفاجة، محمّد: قصّة الادب في الحجاز في العصر الجاهليّ. القاهرة: 1959.
19. خفاجي، محمّد عبد المنعم: الشعر الجاهليّ. بيروت: 1973.
20. الدَّميريّ، أبو البقاءكمال الدين محمّد بن موسى بن عيسى (1405–1341/ 808–742): حياة الحيوان. القاهرة: مطبعة أحمد الحلبيّ، 1292.
21. ديورانت، ول: قصّة الحضارة. ترجمة: محمّد بدران. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1960–1952، 21مج.
22. الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب. مصر: مطبعة الأخبار، 1911.
23. الزَّوْزنيّ، أبو عبد اللّه حسين بن أحمد بن حسين (1093/ 486): شرح المعلّقات السبع. بيروت: دار صادر / دار بيروت، 1958/ 1377، 171ص.
24. الطاهر، عليّ جواد: مقدّمة في النقد الأدبيّ. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط2، 1988.

25. طَرَفَة بن العبد، أبو عمرو طرفة بن العبد بن سفيان البكريّ الوائليّ (نحو60-86ق هـ/ نحو564-538م): الديوان. بيروت: دار صادر / دار بيروت، 1962.
26. طُفَيْل الغَنَويّ، طفيل بن عوف بن كعب (نحو13ق هـ/ نحو610م): الديوان. تحقيق: محمّد عبد القادر أحمد. بيروت: دار الكتاب الجديد، ط1، 1968، 119ص.
27. عامر بن الطُّفَيْل، أبو عليّ عامر بن الطفيل بن مالك العامريّ (70ق هـ-11-هـ/ 632-554م): الديوان. رواية أبي بكر محمّد بن القاسم الأنباريّ عن أبي العبّاس أحمد بن يحيى ثعلب. بيروت: دار صادر / دار بيروت، 1963/ 1383، 146ص.
28. عبد اللّه، محمّد صادق: خصوبة القصيدة الجاهليّة ومعانيها المتجدّدة. القاهرة: دار الفكر العربيّ، [د. س.].
29. عَبِيد بن الأبرص، أبو زياد عبيد بن الأبرص بن عوف الأزديّ (نحو25ق هـ/ نحو600م): الديوان. بيروت: دار صادر / دار بيروت، 1964/ 1384، 154ص.
30. قُدامَة بن جعفر، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغداديّ (337/ 948): نقد الشعر. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1948.
31. القيسيّ، نوري: الطبيعة في الشعر الجاهليّ. بيروت: دار الإرشاد، 1970.
32. لبيد العامريّ، أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامريّ (41/ 661): الديوان. تحقيق: إحسان عبّاس. بيروت: دار صادر، 1966/ 1386، 247ص.
33. المرزوقيّ، أبو عليّ أحمد بن محمّد بن الحسن (421): شرح ديوان الحماسة.
34. المفضّل الضبّيّ: المفضّليّات. تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر وعبد السلام محمّد هارون. القاهرة: دار المعارف، ط4، 1964.
35. النابغة الذبيانيّ، زياد بن معاوية: الديوان. تحقيق: فوزي عطوي. بيروت: الشركة اللبنانيّة للكتاب، 1969.
36. نالينو، كارلو: تاريخ الآداب العربيّة. مصر: دار المعارف، 1954.
37. هوميروس: الإلياذة والأُوذيسّة. نقلها إلى العربيّة: عنبرة سلام الخالديّ. بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1974.

بالأجنبيّة:

38. Jones, Alan: Narrative technique in the Qur‘an and in early poetry. In: Journal of Arabic Literature 25/3 (1994 185-191.

39. Shahid, Irfan: **The authenticity of pre-Islamic poetry**: the linguisstic dimension. In: Al-Abhath 44 (1996) 3-29.